موقف المسلم من رزق الله تعالى
دراسة تفسيرية موضوعية

الباحثة: ساره بنت كامل بن مصطفى موريا
القسم: الشريعة والدراسات الإسلامية

المستخلص:

تعد قضية الرزق إحدى القضايا الكبرى التي أولاها القرآن عناية كبيرة، وذلك لتعلقها تعلقًا وثيقًا بحياة العبد، إذ حاجة البشر إليه مستمرة لا تنفك عنه. وعلى أهمية الرزق في حياة المسلم، إلا أن التفكير فيه أصبح مصدر قلق واكتئاب لبعض الناس، وذلك لكثرة المتطلبات والحاجيات التي لحقت الفرد وأسرته، بل وأصبحت قضية الرزق سببًا في اضطراب علاقة المسلم بأخيه المسلم نتيجة تطلع أحدهم لرزق غيره، فمن أجل هذا ظهرت الحاجة إلى بيان أساليب القرآن في إثبات الرزق لله تعالى، ومن ثم بيان المنهج القويم في التعامل مع رزق الله، كما تبين منهج المسلم تجاه رزق غيره.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي ، ومن أهم النتائج:

١. بيان أساليب القرآن في إثبات الرزق لله تعالى، وأثره في حصول الطمأنينة في القلب والرضا، وعدم الخوف والقلق من فوات الرزق أو تأخره.

٢. معرفة أن رزق الدنيا ليس مقياسًا للمنزلة عند الله؛ يزيل كثيرًا من آثار العجب والكبر في النفس.

٣. من أكثر ما يعين على دفع الحسد تجاه أصحاب النِّعمة؛ تذكر متاع الدنيا الزائل، وثواب الآخرة السرمدي الدائم.

٤. وقد ختمت البحث بالتوصية بإقامة دورات ومؤتمرات في قضية الرزق، وخاصة في المجالات المهنية والتعليمية لتفاوت طبقات الناس فيها، وحث طلاب العلم تقريب العلم وتيسيره وربطه بالواقع.

المقدمة:

الحمد لله الرَّازق الوهّاب، المتفضّل على عباده بأنواع النعم، القائل في محكم تنزيله: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» [سورة النحل:٥٣] والصلاة والسلام على

من اختاره الله واصطفاه لنبوته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده المؤمنين هي إنزال الكتاب العزيز، على الرسول الأمين محمد ﷺ، يقول ربنا تبارك وتعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا» [سورة الكهف: ١] فهو كتاب الهداية العظمى، والنور القويم، والمعجزة الباهرة إلى يوم الدين.

ولقد اعتنى العلماء على مرّ العصور بتفسير كلام الله وبيانه للناس، واختلفت بذلك طرقهم ومناهجهم في التفسير، وكان من تلك المناهج التي اعتنوا بها؛ ما يعرف بـ(التفسير الموضوعي)؛ وهو علم يُعنى بجمع الآيات القرآنية المتعلقة باللفظة أو الجملة القرآنية أو الموضوع الواحد في القرآن كله أو بعضه، وذلك بهدف معالجة القضايا المستحدثة التي يعايشها الإنسان بما يوائم عصره[١].

وإن من القضايا المهم تناولها في ضوء القرآن الكريم؛ قضية الرزق، لا سيما في هذا الزمن الذي طغت فيه الحياة المادية، وتنافس كثير من الناس في مطالب الدنيا وأغراضها.

لذا فإني عزمت على البحث في هذا الموضوع، وبيان النظرة الصحيحة تجاه رزق الله تبارك وتعالى، وموقف المسلم من هذا الرزق، وموقفه مع غيره من الناس ممن أنعم الله عليهم، وقد جعلته بعنوان بـ: **(موقف المسلم من رزق الله تعالى «دراسة تفسيرية موضوعية»)**. سائلة المولى الهدى والسداد، والنفع والقبول.

- **أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:**

تتجلى أهمية الموضوع وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

١. أهمية قضية الرزق؛ لتعلقها تعلقًا وثيقًا بحياة الإنسان.

٢. الحث على زيادة التأمل والتدبر لكتاب الله تعالى عمومًا، وفي آيات الرزق خصوصًا.

٣. حاجة المجتمع المسلم إلى بيان النظرة الصحيحة تجاه قضية الرزق.

٤. خدمة المكتبة القرآنية بالموضوعات التي تعالج الواقع، ومنها قضية الرزق.

---

(١) ينظر بتصرف يسير: مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم (ص: ١٦).

- **أهداف البحث:**

١. الكشف عن معنى (الرزق) في اللغة والاصطلاح.

٢. عرض أساليب القرآن في إثبات الرزق له سبحانه، وأثر ذلك على العبد.

٣. بيان موقف المسلم الصحيح تجاه رزق الله له، وموقفه مع غيره من الناس ممن أنعم الله عليهم بالرزق.

٤. إثراء المكتبة القرآنية بالدراسات التفسيرية الموضوعية.

- **مشكلة الدراسة:**

أصبح التفكير بالرزق مصدر قلق لكثير من الناس، وذلك لكثرة المتطلبات والحاجيات التي تصحب الفرد وأسرته، فضلًا عن وجود الوسائل التي تساهم في تفاقم هذا الأمر؛ كوسائل التواصل الاجتماعي التي تعرض تفاوت الناس في الرزق، وكذلك الإعلانات التسويقية التي تسوغ حاجة الفرد لكثير من هذه المشتريات.

كما لا يخفى أثر العلم بهذه القضية في تصحيح علاقة الإنسان بزملائه وأقرانه، وذلك بتطهير القلب من كل ما قد يقع فيه من تمني زوال النعمة عن الغير، والتطلع إلى ما بأيدي الناس، ونحو ذلك.

- **تساؤلات البحث:**

يجيب البحث على الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم الرزق؟

٢. ما هي الأساليب التي استعملها القرآن في إثبات الرزق لله سبحانه؟

٣. ما موقف المسلم الصحيح تجاه رزق الله، وموقفه ممن أنعم الله عليهم بالرزق؟

٤. **حدود البحث:**

استقراء الآيات الواردة في الرزق بجميع صيغها واشتقاقاتها، والتي بلغت مائة

وتسع آية من آيات كتاب الله تعالى، ثم الاقتصار على الآيات التي لها علاقة بموضوع البحث.

- **الدراسات السابقة:**

يظهر من خلال البحث في مراكز الأبحاث والمكتبات المتاحة، وجود بعض الدراسات التي تناولت موضوع الرزق في القرآن الكريم، ومنها:

١. الرزق في القرآن الكريم : دراسة موضوعية، وداد صديق حامد، رسالة ماجستير، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٢. الرزق في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، رنا شباب المطيري، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، السعودية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣. آيات الرزق في القرآن الكريم : دراسة موضوعية، خالد ذيب آل كعدة، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م.

ومن خلال النظر في هذه الدراسات نجد أنها مختلفة عن هذا البحث من حيث العموم والخصوص، فكل من هذه الأبحاث ذكرت جانبًا من هذا البحث، أو زادت عليه مواضيع أخرى، ولم أجد من اتبع طريقة البحث المقصودة بالدراسة.

- **خطة البحث:**

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المقدمـة: وفيها أهميـة الموضـوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحـث، ومشكلته، وتساؤلاته، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطـة البحث، ومنهجـه.

المبحث الأول: مفهوم الرزق، و أساليب القرآن في إثبات الرزق لله سبحانه، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: مفهوم الرزق في اللغة والاصطلاح.**
- **المطلب الثاني: أساليب القرآن في إثبات الرزق لله تعالى.**

المبحث الثاني: موقف المسلم المُنعَم عليه بالرزق ، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: تزكية النفس من العجب والكبر.**
- **المطلب الثاني: شكر الله على هذا الرزق.**
- **المطلب الثالث: أداء حق الله تعالى.**

المبحث الثاني: موقف المسلم من رزق غيره، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: عدم تمني رزق الغير.**
- **المطلب الثاني: سؤال الله من فضله.**
- **المطلب الثالث: وعد النفس بنعيم الآخرة.**

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

- **منهجية البحث:**

اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

وأما فيما يتعلق بتوثيق المادة العلمية، فإني اتبعتُ فيه ما يأتي:

١. عزو الآيات إلى مواطنها في المصحف الشريف، بذكر اسم السورة ورقم

الآية في متن البحث، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢. عزو الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادر السنة المعتمدة بذكر المصدر والجزء والصفحة ورقم الحديث -إن وجد-، مع ذكر درجة الحديث من خلال أقوال أئمة هذا الشأن، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة عليهما.

٣. توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء من مصادرها الأصلية.

هذا وأسأل الله العظيم أن ينفع بهذا العمل، ويتقبله بقبول حسن، ويجعله عملًا صالحًا، ولوجهه خالصًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه.

المبحث الأول: مفهوم الرزق وأساليب القرآن في إثبات الرزق لله تعالى

المطلب الأول: مفهوم الرزق في اللغة والاصطلاح

- **الرزق في اللغة:**

بالرجوع إلى كلام أهل اللغة؛ نجد أن أصل مادة (رَزَقَ) تدل على العطاء.

قال ابن فارس:» (رَزَقَ) الرَّاءُ وَالزَّاءُ وَالْقَافُ أُصَيْلٌ وَاحِدٌ يدل على عطاء لوقت»[٢].

وقال الجوهري: «الرِزْقُ: ما يُنْتَفَعُ به، والجمع الأَرْزاقُ. والرِزْقُ العطاءُ، وهو مصدر قولك: رَزَقَهُ الله»[٣].

وقد ذكر بعض أهل اللغة؛ أن الرزق بِلُغَةِ أَزْدِشَنُوءَةَ: الشُّكر ؛ استدلالًا بقوله تعالى: « وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» [سورة الواقعة: ٨٢] أي شكركم[٤]، وفي هذا القول نظر[٥]، حيث أبان جماعة من المفسرين على أن في الآية محذوف

(٢) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٢/ ٣٨٨) مادة (رزق).

(٣) الصحاح، للجوهري (٤/ ١٤٨١) مادة (رزق).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٣٨٨) مادة (رزق).

(٥) نبّه على ذلك محمد حسن حسن جبل في كتابه. ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (٢/ ٧٩٥) مادة (رزق).

تقديره: وتجعلون شكر الله على رزقه أنكم تُكذّبون[٦].

وعلى احتمال تفسير الرزق بالشكر، فبينهما ارتباط وعلاقة تلازم، فالشكر لازم للرزق؛ قال الشوكاني: «ووجه التعبير بالرزق عن الشّكر؛ أنّ الشكر يفيض بزيادة الرزق، فيكون الشكر رزقًا تعبيرًا بالسبب عن المسبَّب»[٧].

- **الرزق في الاصطلاح:**

تعددت عبارات العلماء في تعريف الرزق بين مضيّق للمفهوم وبين موسّع؛ ومن تلك التعريفات ، قولهم: «الرزق: اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله، فيكون متناولًا للحلال والحرام»[٨]. وهذا هو مذهب أهل السنّة، خلافًا للمعتزلة الذين قالوا إن الحرام ليس برزق[٩].

ووسّع بعضهم مفهوم الرزق، فلم يجعلوه مقتصرًا على ما يؤكل، بل كل أمر يُنتفع به، فقيل: هو «ما سَاقه الله تعالى إلى الحيوان، فَانْتَفع بِهِ بالتغذي أَو غَيره، فهو شامل للمأكولات والمشروبات والملبوسات، بل المراكب وسائر ما يَنْتَفع به بِأَيّ وَجه»[١٠].

كما توسّع آخرون، فجعلوه على نوعين؛ ماديٌّ يشمل المأكولات وغيرها، ومعنويٌّ يشمل المواهب والعلوم[١١]. يؤيد ذلك ما جاء عن السعدي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ «زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» ﴾ [سورة البقرة: ٢١٢] حيث قال: «فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٢/ ٣٦٨)، روح المعاني، الآلُوسي (١٤/ ١٥٥)

(٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (٥/ ١٩٤).

(٨) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني (ص١١٠) .

(٩) ينظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء)، لعبد النبي بن عبد الرسول نكري (٢/ ٩٦)

(١٠) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للنكري (٢/ ٩٦).

(١١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ١١٥) مادة (رزق).

والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يُحب»(١٢).

وعلى هذا فإطلاق الرزق، يراد به العطاء كما هو معناه في اللغة، أي كل عطاء الله على خلقه، الظاهر منها؛ كالمأكولات والمشروبات والملبوسات، وكذلك الباطن منها؛ كالعلوم والمعارف.

ومن هنا كان على المسلم أن لا ينظر إلى الرزق من ناحيةٍ دون أخرى، فليس الرزق هو المال فقط، بل كل شيءٌ ينتفع به الإنسان فهو رزق، فمثلًا الصِّحة والعافية رزق، والأبناء رزق، وصلاحهم رزق آخر، والصُّحبة الصالحة رزق، والزوجة الصالحة رزقٌ لزوجها، وكذلك الزوج الصالح رزقٌ لزوجته، والوالدان رزق، إلى غير ذلك من الأمور، كما أن من الرزق ما يكون أمرًا خفيًا قلّ من يدركه؛ فالإيمان رزق، والعمل الصالح الذي يعمله العبد ويُوفق إليه رزق، وكذلك العلم والفهم الذي يؤتيه الله بعض خلقه، فيبصرون به طريق الحق من الباطئل رزق، إلى غير ذلك من وجوه الرزق، أسأل الله سبحانه أن يجمع لنا من رزقَي الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: أساليب القرآن في إثبات الرزق لله تعالى

من خلال النظر في الآيات الواردة في الرزق؛ نجد أن القرآن أثبت تفرد الله جل ثناؤه بالرزق في آيات عديدة، مع اختلاف أساليب البيان، وفي ذلك دلالة على عظيم أثر هذه القضية على عقيدة العبد وسلوكه، ومن أبرز هذه الأساليب ما يأتي:

أولًا: أسلوب القصر، استعمل القرآن أسلوب القصر في إثبات رزق الله تعالى وتفرده به؛ وذلك بطريقة النفي والاستثناء، يقول عزّ شأنه: « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [سورة هود - عليه السلام -: ٦]، حيث استغرق في العموم بقوله: «وما من» فشمل بذلك كل دابة تدبّ على وجه الأرض من آدميٍ، أو حيوانٍ بري أو بحري، صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم قَصَر هذا الرزق عليه تعالى، فقال «إلا على الله رزقها» فالله وحده لا غيره هو الذي تكفل بأرزاقهم وأقواتهم وغذائهم، ثم أتبع ذلك بذكر علمِه بالمكان الذي تستقر فيه تلك الدوابّ، وذلك مأواها الذي تأوي إليه ليلًا أو نهارًا

---

(١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٩٥).

«ومستودعها»الموضع الذي يُودِعُها، إما بموتها، فيه، أو دفنها[١٣].ومن اللطائف في هذه الآية ما يأتي:

١. بيان تفرّد الله واختصاصه برزق الخلق أجمعين، قال ابن عاشور: « وتقديم «على الله» قبل متعلقه وهو «رزقها» لإفادة القصر، أي على الله لا على غيره»[١٤].

٢. جاء بيان عموم رزق الله لجميع المخلوقات مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم وفاجرهم، بل شمل كذلك الجن والملائكة، والحيوانات كلها، وأكد ذلك باستعمال حرف (على) في قوله تعالى: «على الله رزقها» تأكيدًا لهذا الوعد والضمان منه سبحانه، تفضلًا منه وإحسانًا لا استحقاقًا لهم[١٥].

٣. إثبات كتابة مقادير الأرزاق في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلائق، قال تعالى: « كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ « أي: كل مما تقدّم ذِكره من الدوابّ ومستقرها ومستودعها ورزقها في اللوح المحفوظ، أي مثبت فيه قبل خلقها[١٦].

ولا يخفى أثر هذه الآية في حمل النفس على التوكل على الله تعالى، فإن الإنسان إذا علم أن الله تكفل برزقه طوال حياته، وضمن له ذلك، وكتب الأرزاق كما كتب الآجال فإنه يزداد بذلك توكلًا وتعلقًا بالله الرازق، يقول ﷺ: «هَذَا رَسُولُ عدة آيات من القرآن، منها قوله تعالى: «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا...»[١٧].

---

(١٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٢/ ٣٢٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٢٦٤)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٣٧٧).

(١٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/ ٥).

(١٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم ابن جزي الكلبي (١/ ٣٦٦) فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٥٤٧).

(١٦) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي (١٤/ ٣٢١).

(١٧) جزء من حديث أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار من طريق حذيفة بن اليمان بلفظه (٧/ ٣١٤):«٢٩١٤» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٤/ ٧١) رقم (٦٢٨٧) «وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة، ولم أجد من ترجمة، وبقية رجاله ثقات»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٦٥) (٢٨٦٦).

وقد قيل لحاتم الأصمّ: «من أين تأكل؟ فقال: من عند الله، فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء؟ فقال: كأنّ ما له إلا السماء! يا هذا الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض، وأنشد:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي... ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفل بالأرزاق للخلق كلهم... وللضب في البيداء والحوت في البحر»(١٨)

ولا ينافي ذلك الأخذ بالأسباب، فقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يجمعون بين التوكل والسعي والكسب وأخذ الأسباب، يؤيد ذلك قول النبي ﷺ: « لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(١٩). أي: « تغدو بكرةً وهي جياع، وتروح عشاءً وهي ممتلئة الأجواف»(٢٠).

ولا يخفى أثر هذه الآيات في زوال ما قد يجده الإنسان من قلق على أبنائه، وزوجه في المستقبل، فالله كفل رزقه، ورزق جميع خلقه من الحيوان والدواب، فمن أصدق من الله حديثًا؟

ثانيًا: أسلوب ضرب المثل، جاء إثبات رزق الله على أسلوب المثل في

مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» [سورة الروم: ٢٨].

وقد ضرب الله هذا المثل لبيان قُبح الشرك وتهجينه، وجعله مثلًا من أنفسنا، لا يحتاج إلى إعمال عقل ونظر، فيقول: هل أحد من عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشارككم

---

(١٨) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي (٩/ ٧).

(١٩) أخرجه الترمذي في سننه من طريق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- واللفظ له، أبواب في الزهد، باب في التوكل على الله (٤/ ٥٧٣) رقم (٢٣٤٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وأخرجه ابن ماجه في سننه بنحوه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٢/ ١٣٩٤) رقم (٤١٦٤) واللفظ له، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحوه (١/ ٤٣٩) رقم (٣٧٣) وصححه الحاكم في كتابه «المستدرك على الصحيحين »، كتاب الرقاق (٤/ ٣٥٤) رقم (٧٨٩٤) بقوله: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه « وسكت عنه الذهبي، وصححه كذلك الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٢٠)

(٢٠) نقله الهرري عن الهناوي في كتابه شرح سنن ابن ماجة «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» و «القول المكتفى على سنن المصطفى» (٢٥/ ٢٦٩).

في رزقكم، وترون أنكم وهم فيه على حدّ سواء. « تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» أي: هل تخافون من مماليكم أن يقاسموكم الأموال كخوفكم من الأحرار الشركاء؟

فإذا لم يكن أحد من المماليك شريكًا لكم في رزقكم –مع كونكم لم تخلقونهم ولم ترزقونهم بل أنتم مخلوقون أمثالهم– فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكًا من خلقه، وتجعلونه بمنزلته، وأنتم لا ترضون مساواة مماليككم لكم؟[٢١].

وفي هذه الآيات دعوة للعبد أن يزداد تعلقًا بالله فهو الذي بيده الرزق، فيدعوه ويسأله ويطلبه ويلح عليه في جميع حوائج الدنيا من مال ووظيفة، وولد، وطلب شفاء، وما سوى ذلك، ولا يتكل على أحد من البشر ، وإن ظهرت أسباب الرزق على أيديهم، فالجميع سوى الله عاجزين عن الرزق، بل حالهم كحال العبد الرقيق الذي لا تصرف له.

ثالثًا: أسلوب الاستفهام ، يعدّ أسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب التي تكررت في كتاب الله، حيث وردت في ١٢٦٠ موطنًا في القرآن[٢٢]، ومن القضايا التي استُعمل فيها أسلوب الاستفهام؛ إثبات تفرده سبحانه بالرزق، وذلك في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿ « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» ﴾ [سورة يونس – عليه السلام–: ٣١] فقد جاء الاستفهام ها هنا لغرض التقرير وإقامة الحجة على المشركين وتفويض الجواب إليهم، ، فقال جلّ ذكره: قل يا محمد من يرزقكم من السماء بالمطر والغيث، وتقلُّب الليل والنهار، ومن الأرض بالنبات الذي به قوتكم وغذاءكم، فإن اعترفوا فالحجة ظاهرة، ومن لم يعترف فيقرّر عليه أن هذه السماوات والأرض لا بدّ لهما من خالِق، ولا يتمارى في هذا عاقل[٢٣].

ثم خُتمت الآية ببيان أنّه إذا كان سبحانه هو الرازق، وهو الذي يملك السمع والبصر، ويقدّر الأمور ويقضيها، فكيف تلجؤون إلى غيره من البشر؟ قال تعالى:

(٢١) ينظر بتصرف: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٦٤٠).

(٢٢) ذكر عبد العظيم المطعني أن حصر المواطن نص عليه د. عبد الخالق عضيمة. ينظر كتابه: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، (ص: ٦).

(٢٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٣٥).

﴿ «فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» ﴾ أي: أفلا تتقون الشرك مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من رحمة الله، واعترافكم بأن كل ما سوى الله لا ينفع ولا يضرّ؟ (٢٤)

ومن الآيات كذلك قوله تعالى: ﴿ «أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ﴾ [سورة النمل: ٦٤] ووجه عطف بَدْأ الخلق على الرزق؛ لبيان أن خلق الله الخلائق مقرون برزقهم، أي أن الخلق يلزم منه الرزق، إذًا فيقين المسلم بأن الله هو الخالق سبحانه يقتضي منه أن يعلم أنه لا رازق غيره سبحانه، فحريّ بالمؤمن إذا ناله الله بنعمة أن يتذكر أنه لا رازق له إلا الله، ولولا رحمته لأمسك الرزق، فلا يكون حاله كما قال: ﴿ «بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» ﴾ فلا يتأثر ولا يعتبر ولا يتفكر.

رابعًا: أسلوب القسم، أثبت سبحانه تفرده بالرزق بأسلوب القسم؛ تأكيدًا لهذا الأمر، قال جل شأنه: ﴿ «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢-٢٣] فبعد أن بيّن سبحانه أن كل أصناف الرزق، وما يوعدَه الإنسان من خير وشر مقدّر ومكتوب في اللوح المحفوظ،أقسم سبحانه بأعظم قسم، وبأعظم مقسَم به وهو نفسه الشريفة، فقال: ﴿ «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ « ﴾ ، وجواب القسم: ﴿ «إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» ﴾ أي إن الذي قلتُ لكم أيها الناس لحق كما حقّ أنكم تنطقون، فأكدّه بتشبيهه بالأمر المحقق الذي لا يشكّ فيه ذو حاسة سليمة(٢٥).وأحدُنا يعلم أنّه إذا نطق لا يحتاج إلى استدلال على نطقه، فضلًا عن أن يعتريه شكٌ في أنّه ناطق فكذلك رزق كل واحد منّا.

وقد قيل أن هذه الآيات تُليت على أعرابي فصاح وقال: «يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدّقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين؟»(٢٦).

وفي إقسام الله بنفسه على تفرده سبحانه بالرزق أثر على طمأنينة قلب المؤمن، فلا يعتري الإنسان قلق أو جزع على تأخر رزقه أو فواته، بل يكون مطمئنًا قنوعًا،

---

(٢٤) ينظر باختصار: فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٥٠٤).

(٢٥) ينظر: التبيان في أيمان القرآن، لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (١/ ٦٣٨).

(٢٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره نقلًا عن الأصمعي « الكشف والبيان » (٢٤/ ٥٤٠).

راضيًا بمقسم الأرزاق سبحانه، غير مستعجل لها، فالأرزاق مكتوبة كما الآجال مكتوبة، قال ﷺ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ...» (٢٧).

وأخيرًا؛ بالنظر في هذه الأساليب التي استعملها القرآن في إثبات الرزق لخلقه، ووعده عباده بها، وضمانه رزق كل دابة تدب على وجه الأرض من صغير وكبير، يأتي الابتلاء والاختبار للخلق، لأن الله أعلمهم أنهم رازقهم ووعدهم وأقسم بنفسه على ذلك، ثم غيّب أوقات العطاء والإمداد، فانقسم الناس بين راض بما أعطاه الله، وبين صابر محسن الظن أن الله ما منعه إلا ليعطيه، وبين جازع لأمر الله قليل الصبر، متطلع لما بين يدي الناس، ومرجع هذا التفاوت بينهم إلى تفاوتهم باليقين برزق الله وعطائه. رزقنا الله وإياكم اليقين والرضا بما قسمه الله لنا.

المبحث الثالث: موقف المسلم المُنعم عليه بالرزق

المطلب الأول: تزكية النفس من العجب والكبر

إنّ من أولى الأمور التي اعتنى بها الشرع؛ تهذيب الأخلاق والنفوس وصلاحها، يدلّ على ذلك قول النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحِ الأَخْلَاق»(٢٨). وإنّ من مساوئ الأخلاق التي قد تعتري الإنسان؛ العجب والكبر، وخاصة ما يكون عند سعة الرزق، وتعاود النعمة تلو النعمة، فقد يظن المرء أنّ سعة الرزق في الدنيا دليل محبة الله للعبد، وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله لردّ ما قد يقع في النفس من هذا الظن، يقول عزّ شأنه: ﴿ «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ» ﴾ [سورة الفجر: ١٥] أي إذا أكرم الله هذا العبد بالغنى

---

(٢٧) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب القدر (٣/ ١١٧٥) رقم (٣٠٣٦) واللفظ له، وأخرجه مسلم بنحوه في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٦) رقم (٢٦٤٣).

(٢٨) أخرجه أحمد في مسنده بهذا اللفظ (١٤/ ٥١٢) «٨٩٥٢»، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد »، باب حسن الخلق بمثله (ص١٠٤) رقم (٢٧٣)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» بنحوه (٢/ ٦٧٠) رقم (٤٢٢١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «على شرط مسلم»، وصححه الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٨/ ١٨٨) رقم (١٣٦٨٣): وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري (ص١١٨).

والصحة والعافية، يفرح ويظنّ أن الله أحبه وأكرمه فلذلك رزقه، ﴿ «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ» ﴾ [سورة الفجر: ١٦] ثم إذا ابتلاه بضيق في رزقه، أو سقم في جسمه فإذا به يقول: أراد الله إهانتي، ونسي ما أنعم الله عليه من النعم الأخرى، ثم أنكر الله على هذا الإنسان اعتقاده بأن عطاءه دليل على محبته له، ومنعه دليل على إهانته له، قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما زعم.

وفي هذه الآية دليل على أن الرزق الدنيوي ليس دليلًا لمحبة الله للعبد، بل هو ابتلاء وامتحان، والمدار الصحيح الذي به يعرف العبد محبة الله له؛ أن يُوفَق لشكره في حال غناه وصحته، ويوفق لصبره في حال فقره ومرضه[٢٩]. يؤيد ذلك قول النبي ﷺ: « عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له»[٣٠].

ولقد قررّ الله هذا المعنى في آيات عدّة، وليس ذلك إلا دليلًا على أهميتها، يقول تعالى: «وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» [سورة الأنبياء: ٣٥] فالخير ابتلاء للعبد، وكذلك المال والبنون نعمة ورزق، ولكنها ابتلاء، قال تعالى: « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» [سورة الأنفال: ٢٨]، والآيات في ذلك أكثر من أن تحصى.

ولعلّ من تأمل النماذج التي ذكرها الله في كتابه يجد هذا المعنى واضحًا بيّنًا كفلق الصبح، فهذا الطاغية فرعون آتاه الله الملك والمال والجاه على ما عليه من الجبروت والكبر، يقول الله تعالى عنه: ﴿ «وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ» ﴾ [سورة الزخرف: ٥١].

ففي هذه الآية أخبر الله عن تفاخر فرعون بملكِه مصر، وما مكّنه الله له من الدنيا استدراجًا، وقد حسب أن الذي هو فيه ناله بيدِه وحوله.

وهذا قارون فتح الله له من خزائنه حتى لا يستطيع الجماعة ذوي القوة حمل كنوزه كما قال تعالى: « إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ

(٢٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير (٨/ ٣٨٨).

(٣٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٤/ ٢٢٩٥) رقم (٢٩٩٩).

الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ» [سورة القصص: ٧٦]؛ وليس ذلك إلا امتحانًا لهم وابتلاءً، فكفروا وطغوا، فأهلكهم الله سبحانه.

ومقابل ذلك ما يجدّه النبي ﷺ وأولياؤه من شدّة وضيق في الحياة، مع رفعة مقامه ودرجته عند الله، حتى قالت عائشة –رضي الله عنها–: « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ البُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ»(٣١).

وقد دخل عمر –رضي الله عنه– على النبي ﷺ وهو على حصير، وتحت رأسه وسادة من أَدَم حشوها لِيف، قال عمر: « فَرَأَيْتُ أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: ما يُبْكِيكَ؟ فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ كِسْرَى وقَيْصَرَ فِيما هُما فِيهِ، وأَنْتَ رَسولُ اللَّهِ! فَقالَ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لهمُ الدُّنْيَا ولَنَا الآخِرَةُ»(٣٢).

وكل هذا تأكيدًا لهذه القضية، فالغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين وثواب الآخرة، إلا من يحب.

ويظهر أثر تجلية هذه القضية للمؤمن أنها تزكي نفسه من كل عجب وكبر، وتدفع ما قد يقع في نفسه وخاطره من ظنٍ أن الله إنما أكرمه لمنزلته عنده، وبسط في رزقه له لرضاه عنه، فيقابل نعمة الله بالحمد والاعتراف بفضله.

المطلب الثاني: شكر الله على هذا الرزق

إن من العبادات العظيمة التي أولاها الشارع عناية كبيرة، ورتب عليها ثواب الدنيا قبل الآخرة، بل هي نصف الدين كما قال ابن مسعود –رضي الله عنه–، وهذه العبادة هي عبادة الشكر لله تبارك وتعالى(٣٣).

---

(٣١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب الأطعمة، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون، (٥/ ٢٠٦٧) رقم (٥١٠٠) وأخرجه مسلم في صحيحه بمثله، كتاب الزهد والرقائق. (٤/ ٢٢٨١) رقم (٢٩٧٠).

(٣٢) متفق عليه، جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب التفسير، باب: {تبتغي مرضاة أزواجك}، وأخرجه مسلم في صحيحه بنحوه، كتاب الطلاق، بَاب فِي الْإِيلَاءِ وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ وَتَخْيِيرِهِنَّ، وَقَوْلِهِ تعالى: {وإن تظاهرا عليه}، (٤/ ١٨٦٧) رقم (٣٨٧) (٢/ ١١٠٨) رقم (١٤٧٩).

(٣٣) أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد (ص: ٤٥٦) رقم (٢٠٣) والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٤) رقم (٨٥٤٤) رقم (٩٨٥) موقوفًا على ابن مسعود –رضي الله عنه–، وكذا في شعب الإيمان (١/ ٧٤) رقم (٤٨) وأخرجه الحاكم بنحوه في مستدركه (٢/ ٤٨٤) رقم «٣٦٦٦» وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد

فإن المسلم في هذه الحياة لا يخلو من حالين، إما أن يكون بين نعمة يشكر الله عليها ، وإما بلاء يصبر عليه ويحتسب فيه.

ولقد اتصف الرسل والأنبياء عليهم السلام بسرعة المبادرة بشكر الله المنعم المتفضل، فهذا سليمان -عليه السلام- أتاه الله ملكًا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعده، فقد عُلم منطق الطير والدواب، وسخر الله له الإنس والجن، وكان -عليه السلام- يقابل ذلك بالحمد والشكر، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» [سورة النمل: ١٥] ثم في الآية التي تليها يقوم سليمان -عليه السلام- في مجمع من الناس، شاكرًا الله على ما منحه من علم ومُلك، ناسبًا الفضل كله إلى ربه، يقول -عليه السلام-: ﴿ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» ﴾ [سورة النمل: ١٦] ، وقد ختم بقوله: ﴿ «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» ﴾ «فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى»[٣٤].

ثم بعد ذلك مرّ سليمان -عليه السلام- على وادي النمل، فسمع كلام النملة وهي تقول: « يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» [سورة النمل: ١٨] فتبسم ضاحكًا من قولها قال وهو ممتلئ بشكر الله: « رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ» [سورة النمل: ١٩] أي: « اجعلني ملازمًا شكر نعمتك. وإنما سأل الله الدوام على شكر النعمة؛ لما في الشكر من الثواب ومن ازدياد النعم»[٣٥].

وأيضًا في سياق طلبه ممن بحضرته من الجن والإنس أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة سبأ، فإذا بعفريت من الجنّ ذو قوة ونشاط يقول: «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» [سورة النمل: ٣٩]، ويقول رجل من الإنس عنده علم من الكتاب، أي علمٌ باسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب « أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ

ولم يخرجاه « ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ٥٧):«رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح».وأخرجه البيهقي في الزهد الكبير (ص: ٣٦٠) رقم (٩٨٤) مرفوعًا عن ابن مسعود -رضي الله عنه- وقال: «والصحيح المعروف أنه من قول عبد الله بن مسعود». وقال ابن حجر في فتح الباري (١/ ٤٨)«ولا يثبت رفعه» وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٧١٤) «منكر» وخلاصة القول في هذا الأثر أنه صحيح موقوفًا، وضعيف مرفوعًا.

(٣٤) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٦٠٢).

(٣٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٩/ ٢٤٤).

طَرْفُكَ» [سورة النمل: ٤٠] فدعا الله، فأتى به، فلما رأى سليمان -عليه السلام- العرش بين يديه قال مباشرةً: «هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي» [سورة النمل: ٤٠] أي: هذا المُلْك والسلطان الذي أنا فيه حتى حُمل إليّ العرش من اليمن إلى الشام في قدر طرفة العين، « لِيَبْلُوَنِي» يقول: ليختبرني أأشكره أم أجحد نعمته؟ « وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» أي يعود نفع شكره إليه؛ لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه.وفي ذلك دلالة على أنه سبحانه لا حاجة له إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكره لنفعهم هم؛ لأن الشكر يحفظ النعمة ويزيدها [٣٦]. كما أن في الآية دليل على أن الإنسان ينبغي أن لا ينشغل بالرزق وكثرته عن شكر الله تعالى، بل يسعى، ويبادر إلى شكر الله فَوْر رؤية النعمة، وهذه إحدى الخصائل التي تحلّى بها سليمان -عليه السلام- وحث القرآن عليها[٣٧].

ولقد قرن الله سبحانه بين الشكر والرزق في عدة آيات، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» [سورة البقرة: ١٧٢] وقال على لسان إبراهيم -عليه السلام-: « إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [سورة العنكبوت: ١٧]. ووجه اقتران الشكر بالرزق؛ أن الشكر موجب لبقاء هذا الرزق، بل هو سبب لزيادته، ولذلك كانوا يسمون الشكر: الحافظ، يعني: الحافظ للنعم الموجودة، والجالب للنعم المفقودة، وبهذا يتبين أن فلاح العبد وسعادته أن يكون شاكرًا لله على نعمه، وأن يرى أن جميع النعم من ربه، فلا يفخر ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق منه شكرًا كثيرًا[٣٨].

المطلب الثالث: أداء حق الله تعالى

لما كان المطلب الأول يدعو صاحب النعمة إلى الاعتراف بنعمة الله بالقلب، وأن ما أُوتيه من الرزق هو من فضل الله، والمطلب الثاني يدعو إلى شكر الله والثناء عليه باللسان، جاء هذا المطلب داعيًا إلى شكر الله بالجوارح والعمل، وبهذه الثلاثة يتحقق الشكر.

(٣٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٢٠٦).

(٣٧) ينظر بتصرف: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٩/ ٢٧٢).

(٣٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٦٠٢).

فمن الأمور التي حث الله عليها القرآن؛ الإنفاق في سبيل الله، سواء كان ذلك للفقراء، أو الإنفاق لأجل نصرة الدين، قال تعالى: ﴿ «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» ﴾ [سورة سبأ: ٣٩]. فبعد أن ذكر سبحانه تفاوت الناس في الرزق، أرشد إلى الإنفاق بقوله: ﴿ «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» ﴾ أي: مهما أنفقتم من نفقة في طاعة الله، فهو يخلفه عليكم إما في عاجل الدنيا بأن يعوضكم خيرًا مما أنفقتم، وإما في الآخرة بالجزاء والثواب(٣٩)، وختم ذلك بقوله: ﴿ «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» ﴾ وعدًا للمنفِق بالزيادة والأجر، وبيان أن ما يُخْلِفُهُ الله لهذا المنفق أفضل وأعظم مما أنْفَقَهُ(٤٠).

وإن من وجوه الإنفاق؛ الإحسان إلى الناس في أي وجوه الخير والبر، فبعضهم قد فتح الله عليه في علمه وفهمه، ولا يزال حاله يعطي هذا وهذا، فهو في ذلك موعود بالخلف، إما زيادة في علمه أو بركة فيه، أو رفعة له في الدار الآخرة، يقول تعالى: « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا [سورة المزمل: ٢٠].

والوعد بالخلف له شواهد كثيرة من السنة، منها قوله ﷺ:» مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ...»(٤١) ،وقوله: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا «(٤٢)، وهذا الوعد بالخلف لا يكون إلا في العبادات والطاعات التي تقرب إلى الله(٤٣).

وقد حذّر سبحانه من جميع الذنوب والمعاصي، وجعل ذلك من أهم أسباب محق بركة الرزق، قال تعالى: « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ

---

(٣٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٤٦٢).

(٤٠) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ٢٢٠).

(٤١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع (٤/ ٢٠٠١) رقم (٢٥٨٨).

(٤٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة واللفظ له، كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى...إلى فنيسره لِلْعُسْرَى» [الليل: ٥-١٠] (اللهم أعط منفق مال خلفًا) (٢/ ٥٢٢) رقم (١٣٧٤) وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة، بَاب فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ (٢/ ٧٠٠) رقم (١٠١٠).

(٤٣) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحيي الدين النووي (٧/ ٩٥)

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [سورة الأعراف: ٩٦]. وضرب لذلك مثلًا في القرآن بقوله: « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» [سورة النحل: ١١٢].

وأيضًا من الأمور التي حثّ عليها القرآن، وأمر بأدائها، وربَطَها بالرزق؛ إقامة الصلاة، قال تعالى: « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» [سورة طه: ١٣٢] فلا عذر للإنسان بتأخيره صلاته وانشغاله عنها بحجة الرزق، لأن الله متكفل به بقوله: « نَحْنُ نَرْزُقُكَ» بل إقامة الصلاة سبب من أسباب الرزق، قال ابن كثير: « يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالى: « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» [سورة الطلاق:٢-٣]»[٤٤]. وبهذا يتبين أن الله تكفل برزق عباده حتى يطمئنوا ويتفرغوا لعبادته، فإن الغاية كل الغاية في خلق الإنسان هو عبادته على النحو الذي يرضيه تبارك وتعالى.

المبحث الثاني: موقف المسلم ممن أنعم الله عليهم بالرزق

المطلب الأول: عدم تمني رزق الغير

إنّ مما اعتنت به نصوص الكتاب والسنّة، تزكية القلوب من آفاتها، والسمو بها إلى أعلى المنازل والدرجات، ومن تلك النصوص التي تحث على الاتصاف بالقلب السليم والتحلي به مقابل ما يراه المسلم تجاه رزق أخيه المسلم؛ ما نزل في شأن نساءٍ تمنين منازلَ الرجال، وأن يكون لهم ما لهم، فإن هذا التمني قد يكون ذريعة إلى الحسد المذموم، قال تعالى: « وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» [سورة النساء: ٣٢]. وجاء في سبب النزول ما ذكره مجاهد -رحمه الله- بقوله: « قالت أم سلمة: يا رسول الله: تغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث! فنزلت الآية »[٤٥].

---

(٤٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٢٨٨).

(٤٥) أخرجه الطبري في تفسيره «جامع البيان» (٦/ ٦٦٤).

ومعنى الآية: أن الله سبحانه ينهى عباده عن تمني رزق غيره، سواء كان ذلك تمنيًا من النساء أن يكنَ رجالًا فيغزون مثلهم، أو تمنيًا ما لفلان من الرزق، لأن ذلك مفضي إلى الحسد والبغي بغير الحق، ثم أرشدهم عزّ وجل إلى ما يصلحهم فقال: « وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ».(٤٦) قال ابن عباس-رضي الله عنهما- في تفسير الآية: «لا يتمنى الرجل يقول: ليت أنّ لي مالَ فلان وأهلَه! فنهى الله سبحانه عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله»(٤٧).

ثم ختم سبحانه بقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» حيث ناسبت خاتمة الآية ما قرره سبحانه من تفاوت بين العباد في الأرزاق، وأنه سبحانه أعلم بما يصلح كل عبد، فمن علم أنه يستحق الدنيا أعطاه منها، ومن علم أن هذا العبد لا ينفعه إلا الفقر أفقره، ومصداق ذلك قوله جلّ شأنه: « وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» (سورة الشورى: ٢٧)(٤٨). فهذا التفاوت في الرزق موكول إلى علم الله سبحانه وحكمته، فقد يضيق على بعض عباده حتى لا يكون ذلك سببًا في هلاكهم، فمن الناس من لو كثُر ماله أو ولده، أو نال منصبًا معينًا، يقوده ذلك إلى التكبر والطغيان في الأرض، فيحجب الله ذلك عنه لطفًا به سبحانه، يدل على ذلك قوله تعالى: « اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» (سورة الشورى: ١٩).

وهذه الآيات بمجموعها تقتضي تسليم العبد لرزق الله له ورضاه وقناعته بما قسمه الله له، كما لها أثر في تطهير قلبه من كل ما يجوب في خاطره من الغل أو تمني نعمة الغير أو غير ذلك؛ لأن الله قسّم الأرزاق على علم بعباده، وكلما تذكر الإنسان أن الله هو المقسّم، وأنه ما أعطى عبدًا إلا لحكمة وما منعه إلا لحكمة، فإنه يزيل بذلك دواعي الحسد في القلب، ويزيد في قلبه الطمأنينة والسكينة، فينال بذلك الحياة الطيبة في الدنيا كما أخبر الله بها بقوله: « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [سورة النحل: ٩٧]. رزقنا الله وإياكم هذه الحياة الطيبة وقنعنا بما رزقنا، ورضي عنا وأرضانا.

(٤٦) ينظر بتصرف: المصدر نفسه (٦/ ٦٦٣).

(٤٧) أخرجه الطبري في تفسيره «جامع البيان» (٦/ ٦٦٤).

(٤٨) ينظر بتصرف: جامع البيان، للطبري (٦/ ٦٧٠) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص١٧٦).

المطلب الثاني: سؤال الله من فضله

ذكرنا في المطلب السابق، الآية التي تناولت نهي الله عن تمني رزق الغير، والدعوة إلى الرضا والقناعة بكل ما قسمه الله للعبد، وقد أرشدت الآية أيضًا إلى أمر آخر هو في غاية الأهمية؛ وهو الالتجاء إلى الله سبحانه بالدعاء والسؤال والطلب، قال تعالى: «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» [سورة النساء: ٣٢].

فبعد النهي عن التمني المذموم المقتضي للحسد، جاء الأمر والحثّ بسؤال الله تعالى، ومن اللطائف في الآية:

١. حث الله عباده على السؤال، وفي ذلك دليل على استجابته للدعاء، قال سفيان بن عيينة: «لم يأمُر بالسؤال إلا ليعطي»[٤٩].

٢. عدم تعيين المطلوب في الدعاء، وذلك ظاهر في لفظ «مِنْ فَضْلِهِ» فقد جاءت شاملة، ليس مقتصرة أو متعيّنة على دعوة ما؛ وذلك لأن خزائنه سبحانه لا تنفذ، ولا يقضيها شيء[٥٠]. وقيل جاءت عامة؛ ليشمل الدعاء في أمر الدنيا والآخرة.

ومن النماذج التي ذكرها الله في كتابه قصة نبي الله زكريا –عليه السلام– مع مريم –عليها السلام– فإنه بعد أن كفل مريم –عليها السلام–، كان إذا دخل عليها المحراب وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. فكان يعجب مما يرى من ذلك، فقال: «يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا» [سورة آل عمران: ٣٧] فتجيبه: « هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» أي: أن الله هو الذي رزقها هذا الرزق فساقه إليها وأعطاها، وعندئذ طمع زكريا –عليه السلام– في الولد مع كبر سنه، من المرأة العاقر، فرجًا أن يرزقه الله منها الولد، كما رزق مريم –عليها السلام–، فقال تعالى واصفًا حاله: « هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» [سورة آل عمران: ٣٨][٥١].

(٤٩) لم أجده في كتب الآثار، وقد نقل القرطبي قوله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥).

(٥٠) ينظر بتصرف: نظم الدرر، للبقاعي (٥/ ٢٦٦).

(٥١) ينظر بتصرف: جامع البيان، للطبري (٥/ ٣٥٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣١).

يُستخلص من هذه الآية؛ أن الإنسان إذا وجد نعم الله على غيره، ومالت نفسه إلى طلب شيء منها، فعليه بسؤال الله من فضله؛ فإن الله هو المنعِم المتفضل، مقسّم الأرزاق بين خلقه سبحانه.

المطلب الثالث: وعد النفس بنعيم الآخرة

لما كان الإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان الستة التي لا يصح إيمان المسلم بدونها، دلّ ذلك على كبير أثرها في حياة المسلم، سواء كان ذلك في سلوكه وعباداته، أو في معاملاته وعلاقاته مع الناس، وأنّ الركون إلى الدنيا والغفلة عن الاستعداد لذلك اليوم، من أعظم الأسباب في وهن النفوس وضعفها، وشعورها بالقلق والاكتئاب، كما لها أثر في إشعال نار الحسد في القلوب، والتطلع إلى ما بأيدي الناس.

ولأهمية هذا الأمر نجد القرآن أكثر من ذكر اليوم الآخر حتى شمل غالب سور القرآن، وكل ذلك تاكيدًا لهذه القضية، وتذكيرًا للمسلم بها على الدوام.

ومن تلك الآيات ما جاء في سياق الأمر لنبي الأمة محمد ﷺ يقول جلّ ذكره: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» [سورة طه: ١٣١] ومعنى الآية: ولا تنظر إلى ما جعلنا لهؤلاء الكفار والمشركين من متع في الحياة الدنيا يتمتعون بها في الدنيا، من زهرة الدنيا وحسنها، نريد بها اختبارهم وامتحانهم، فإن هذه الدنيا زائلة مضمحلة، « وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» أي: وثواب الله لك في الآخرة «خَيْرٌ» لك من هذه الدنيا « وَأَبْقَى» أي: وأدوم، لأنه لا انقطاع فيها ولا نفاد(٥٢). ومن اللطائف في هذه الآية:

١. التعبير بمدّ العين «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ» كناية عن الإعجاب والرغبة والميل إلى الشيء، حتى لا يكاد الناظر يردّ النظر عنه. قال القرطبي: « «وَلَا تَمُدَّنَّ» أبلغ من لا تنظُرنّ، لأن الذي يمدّ بصره، إنما يحمله على ذلك حرص مقترِن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه»(٥٣).

٢. وجه تشبيه نعيم الدنيا بالزهر في قوله: «زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ؛ «لأن الزهر

(٥٢) ينظر بتصرف: جامع البيان، للطبري (١٦/ ٢١٣).

(٥٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/ ٢٦٢).

له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل»[٥٤]، وكذلك الحياة الدنيا تأخذ بأبصار الناس لجمالها وزينتها، وهي في حقيقتها إلى زوال واضمحلال.

٣. في اسم التفضيل «وَأَبْقَى»دلالة أن في رزق الدنيا بقاءً، إلا أن هذا البقاء بالنسبة للآخرة لا يساوي شيئًا[٥٥].

ولقد ذكر سبحانه في كتابه نماذج من المؤمنين أيقنوا أن رزق الآخرة خير وأبقى من رزق الدنيا، من ذلك ما أخبر به سبحانه عن قصة قارون، وموقف قومه حينما رأوا قارون قد خرج عليهم في زينة عظيمة وتجمّل باهر من مراكب وملابس وخدم، فتمنوا مثل الذي له من المال والملك فقالوا: « يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» [سورة القصص: ٧٩] فلما سمع أهل العلم –المنتفعين بعلمهم، الموقنين بثواب الله– بهذه المقالة، قالوا: « وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا» [سورة القصص: ٨٠] فالمتاع الأخروي الدائم خير من المتاع الدنيوي الزائل « وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ» [سورة القصص: ٨٠] ولا يوفق لقول هذه الكلمة إلا من صبر عن لذات الدنيا وشهواتها، ورغِب في ثواب الله وما أعده سبحانه لأوليائه من النعيم المقيم.[٥٦]

وكذلك من الآيات التي ذُكرت في قضية الرزق، وأظهر القرآن فيها حقيقة الدنيا بالنسبة للآخرة، قوله تعالى: « اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ» وقوله: «قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا» [سورة النساء: ٧٧] وقوله: « بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» [سورة الأعلى: ١٦–١٧] وقوله: « وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» [سورة آل عمران: ١٨٥].

نخلص مما سبق؛ أن العبد إذا رأى من نفسه رغبة إلى زينة الدنيا، وإقبالًا عليها، وتطلعًا فيها إلى رزق غيره، فعليه أن يذكرها بالآخرة وما أعده الله للمتقين، وأن يوازن بين هذا وهذا، فإن ذلك أدعى لاطمئنان نفسه، وسكونها، وعدم تطلعها إلى ما بين أيدي الناس[٥٧]. والله تعالى أعلم.

(٥٤) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ١٧).

(٥٥) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦/ ٣٤١).

(٥٦) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٨/ ٣٣١)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٢٢٩).

(٥٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٥١٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي تفضل وأنعم عليّ بإتمام هذا البحث، فله الحمد والمنة والفضل كله، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

ففي ختام هذا البحث أشير إلى أهم النتائج المنثورة في ثناياه، وهي كالآتي:

- **أهم النتائج:**

١. استعمل القرآن عدة أساليب في إثبات الرزق لله تعالى، فجاء تارة بأسلوب القصر، وتارة بأسلوب الاستفهام، وأخرى في ضرب المثل، وكذلك بأسلوب القسم بنفسه جلّ وعزّ، وكل ذلك تأكيدًا لهذه القضية، ولما لتعدد هذه الأساليب من أثر عظيم في زيادة اليقين بتفرد الرازق سبحانه برزق العباد، وتكفله بأقواتهم، وتقديره لرزقهم قبل خلقهم، وكلّ هذا يثمر بدوره في حصول الطمأنينة في القلب والسكينة والرضا.

٢. يظهر من خلال النظر في معنى الرزق ؛ أنه لا يقتصر على الأمور المادية كالمال والطعام والشراب والمراكب، بل يشمل كذلك الأمور المعنوية كالعلم والفهم والذكاء وفصاحة اللسان وصلاح الأبناء وغير ذلك.

٣. حث سبحانه على التوكل في طلب الرزق، لأن الأرزاق مكتوبة كما الآجال مكتوبة، مع التنبيه أن ذلك لا يتعارض مع الأسباب والسعي والكسب في طلب الرزق.

٤. من الأمور التي لا بد للمسلم أن يتصف بها في حال رؤيته رزقه؛ تزكية نفسه من العجب والكبر، والسعي إلى شكر الله على هذا الرزق، وأداء حق الله فيه كما يحب سبحانه.

٥. أرشد الله سبحانه إلى المنهج السليم لما ينبغي للمسلم أن يتحلى به تجاه رزق أخيه المسلم، ومن ذلك؛ عدم تمني هذا الرزق الذي بين يدي أخيه، لأن الله أعلم بما يصلح كل واحد منهم، ثم حثه سبحانه على سؤاله من فضله، فإنه بيده خزائن السماوات والأرض، ومن ثمّ عليه بتذكر نعيم الآخرة، وأن الدنيا في مقابل الآخرة متاع زائل.

٦. بيان أن الرزق يزيد بالطاعة كالشكر والصلاة والإنفاق في سبيل الله، وتُمحق بركته بالمعصية وجحود النعمة.

٧. من أهم أسباب بقاء الرزق وحفظه بل وزيادته؛ شكر الله المنعم المتفضل سبحانه.

٨. إدراك التفاوت في الأرزاق، وأنه تابع لعلم الله تعالى، وأن التوسيع والتضييق من الله راجع إلى حكمته، ولطفه، كل ذلك يحمل النفس على الرضا والقناعة برزق الله وقسمته، قلّ ذلك الرزق أو كَثُر.

٩. اقتران الرزق بالعلم في عدة آيات؛ لأن الرازق يعلم ما يُصلح العباد فيرزقهم لحكمة منه سبحانه.

١٠. معرفة أن رزق الدنيا ليس مقياسًا للمنزلة عند الله؛ يزيل كثيرًا من آثار العجب والكبر في النفس.

١١. من أكثر ما يعين على دفع الحسد تجاه أصحاب النِّعمة؛ تذكر متاع الدنيا الزائل، وثواب الآخرة الدائم.

- **أهم التوصيات:**

١. إقامة دورات ومؤتمرات في قضية الرزق، وخاصة في المجالات المهنية والتعليمية لتفاوت طبقات الناس فيها.

٢. العناية بدراسة أساليب القرآن وربطها بقضايا العصر، لما لها من أثر في غرس العقائد، وتصوير المعاني وتثبيتها في النفوس.

٣. بذل طلاب العلم تقريب العلم وتيسيره وربطه بالواقع، من خلال مؤلفات عدة تناسب المتخصصين وغير المتخصصين.

والله تعالى أسأله كما وفقني لهذا البحث، أن يمتنّ عليّ بقبوله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني وينفع به العباد والبلاد، إنه وليّ ذلك والقادر سبحانه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٤ أجزاء، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢. الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية، جزء واحد، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٣. التبيان في أيمان القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط٤، جزأين، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩

٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن بن عاشور التونسي، تونس: الدار التونسية للنشر، ٣٠ جزء، ١٩٨٤ هـ..

٥. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد، المعروف بابن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، جزء واحد، ١٤١٦هـ.

٦. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ٤ أجزاء، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

٧. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٩ أجزاء، ١٤١٩هـ.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، جزء واحد، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطَّبَريّ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٦ جزء، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء)، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ترجمة: حسن هاني فحص، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٤ أجزاء، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القُرطُبيّ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠ جزء، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الآلُوسي، تحقيق: علي عبد الباري عَطِيَّة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٦ جزء، ١٤١٥هـ..

١٣. الزهد الكبير، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الجنان - مؤسسة الكتب الثقافية-، ط١، جزء واحد، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

١٤.سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٦ أجزاء، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٥.سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٣ جزء، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

١٦.سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، جزأين، د.ت.

١٧.سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ٥ أجزاء، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

١٨.شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» و «القول المكتفى على سنن المصطفى»، لمحمد الأمين بن عبد الله الهَرَري، ، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة، ٢٦ جزء، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

٩١. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٩ أجزاء، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٠.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين،٦ أجزاء، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢١. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، دار الصديق للنشر والتوزيع،جزء واحد، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٢.صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ٧ أجزاء، ١٤٢٢هـ.

٢٣.صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٥ أجزاء، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٤.فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تخريج: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣ جزء، ١٣٧٩هـ..

٢٥.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ٦ أجزاء، ١٤١٤هـ.

٢٦.كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،جزء واحد، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٧.كتاب الزهد، لوكيع بن الجراح، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار –المدينة المنورة–، جزء واحد، ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٤م.

٢٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٠ أجزاء، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٩.لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأنصاري، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٥ جزء، ١٤١٤هـ.

٣٠.مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط٤، دار القلم، جزء واحد، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٣١.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٠ أجزاء، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٣٢.المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٤ أجزاء، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٣٣.مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ٥٠ جزء، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣٤.مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط١، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ٣ أجزاء، ٢٠٠٩م.

٣٥.معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٨ أجزاء، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٣٦.المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، لمحمد حسن حسن جبل، ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٤ أجزاء، ٢٠١٠م.

٣٧.المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، دار الصميعي – الرياض، ط١، جزأين، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م

٣٨.معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ٦ أجزاء، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٩.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ٢٢ جزء، د.ت.